

16
2016

عدد 16
الطبعة السنوية 2021

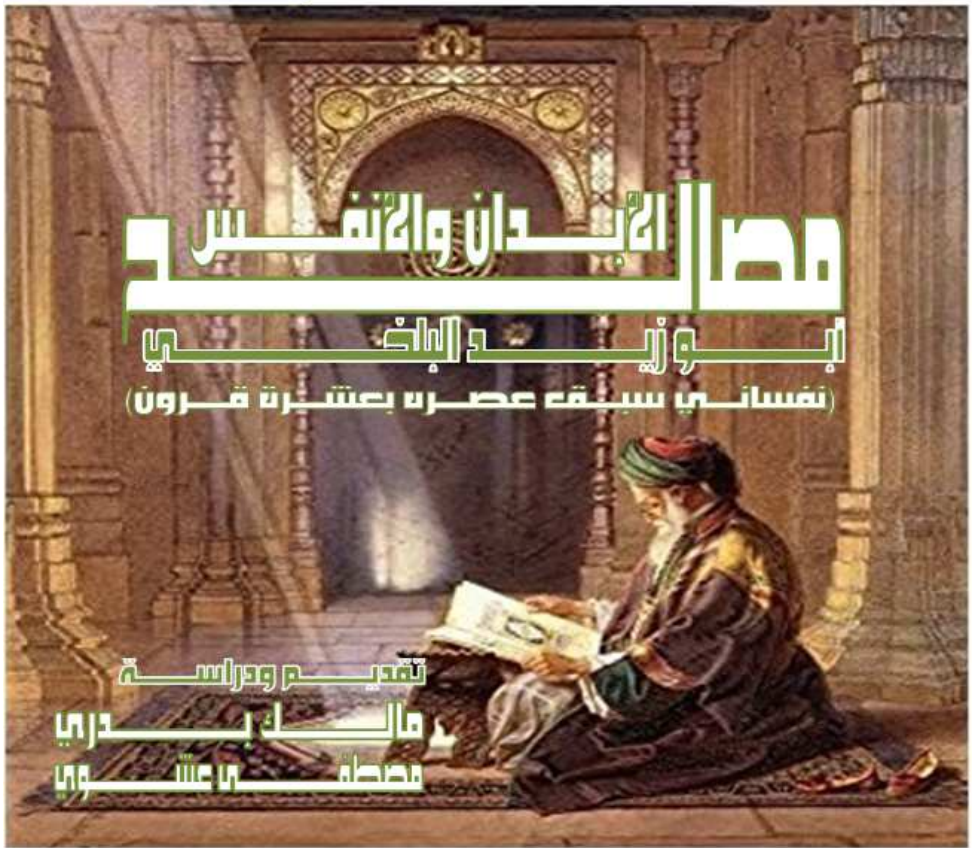
البراسخون

النفس في التراث العرباسلامي

إصدارات لجنة التراث النفسي العرباسلامي

عدد 16

النفس وعلومها من منظور التحليل النفسي المختلِف



2016

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية



هذا الأبدان والأفكار
أبو زيد البلخي
(تحت إشراف سيّد محمد بن محمد بن قرون)

تقديم ودراسة

أحمد بن محمد بن قرون
محمد بن محمد بن قرون

الفهرس

4	تمهيد.
6	- مقدمة تاريخية: سيرة البلخي وعصره.
18	- أبو زيد البلخي: عالم نفساني سبق عصره بأكثر من عشرة قرون.
37	- تكامل الصحة الجسمية والنفسية عند البلخي.
82	- عرض كتابه مصالح الأبدان والأنفس.
83	الباب الأول: في الإخبار عن مبلغ الحاجة إلى تدبير مصالح الأنفس.
85	الباب الثاني: في تدبير حفظ صحة الأنفس عليها.
87	الباب الثالث: في تدبير إعادة صحة النفس إذا فقدت إليها.
89	الباب الرابع: في ذكر الأمراض النفسانية وتعديدها.
91	الباب الخامس: في تدبير صرفه الغضب وقمعه.
94	الباب السادس: في تسكين الخوف والفرح.
97	الباب السابع: في تدبير دفع العزن والجزع.
100	الباب الثامن: في الاحتيا ل دفع وساوس الصدر وأحاديث النفس.
110	- خاتمة النا س.

تمهيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الدراسة التي نقدمها اليوم للمهتمين بالطب النفسي وعلم النفس ولجمهور القراء عبارة عن جزء من التراث العلمي العربي الإسلامي الذي جادت به قريحة عباقرة الفكر الإسلامي عبر التاريخ.

وعنوان المخطوط الذي نقدمه للقراء هو "مصالح الأبدان والأنفس" لأحمد بن سهل المكنى "أبو زيد"، ليس كتابا عاديا من كتب التراث التي عفا عليها الزمن بل هو عمل رائد في وقته وما يزال كذلك حتى في عصرنا هذا.

وقد فطن مؤلفه في القرن الثالث الهجري إلى أنه لم يسبق إلى دراسة مثل هذا الموضوع الذي ركز أساسا على تشابك الصحة النفسية بالصحة الجسمية على أساس تشابك البدن بالنفس. كما ركز في علاج اضطراب الجانب الانفعالي في الشخصية على استعمال الفكر والمعرفة إلى جانب تعديل السلوك.

وإذ تناول أبو زيد في دراسته الجانبين: البدني والنفسي؛ فقد ركز في المقالة الأولى من كتابه على الجانب البدني وكيفية تدييره بينما تناول في المقالة الثانية كيفية تديير الصحة النفسية.

ونظرا لطول الدراسة وخاصة المقالة الأولى منه، واعتبارا إلى كون المعلومات التي جاءت في هذا الجزء قد تجاوز الزمن بعضها، فقد اتفق الباحثان على دراسة المقالة الثانية دراسة مستفيضة، وإخراجها للمهتمين بالصحة النفسية لما تشكله من إضافة علمية في هذا المجال، ولما تقدمه من معلومات وتصورات قد تكون منطلقا لبحوث عملية أخرى في مجال علم النفس والطب النفسي والصحة النفسية بصفة خاصة.

"مصالح الأبدان
والأنفس" لأحمد بن
سهل المكنى "أبو
زيد"، ليس كتابا
عاديا من كتب
التراث التي عفا
عليها الزمن بل هو
عمل رائد في وقته
وما يزال كذلك حتى
في عصرنا هذا.

وليس معنى هذا إهمال المقالة الأولى أو الجزء الأول من الكتاب بل قد تعرضنا لأهم الأبواب التي وردت في هذا الجزء، واستعرضنا أهم الأفكار الواردة فيها، على أن تتم دراسة هذه المقالة بصفة مستفيضة في وقت لاحق إن شاء الله تعالى، وإخراجها لجمهور القراء كجزء من تاريخنا الطبي.

وينبغي أن نشير إلى أن دراسة هذا الجزء من كتاب "مصالح الأبدان والأنفس" تناولت المحاور التالية:

- 1- مقدمة تاريخية: سيرة البلخي وعصره بقلم الدكتور مصطفى عشوي.
 - 2- أبو زيد البلخي: عالم نفساني سبق عصره بأكثر من عشرة قرون بقلم الدكتور مالك بدري.
 - 3- تكامل الصحة الجسمية والنفسية عند البلخي بقلم الدكتور مصطفى عشوي.
 - 4- عرض المقالة الثانية من كتاب مصالح الأبدان والأنفس والتعليق عليها من طرف الدكتور مصطفى عشوي.
- وبعد، فإن تحقيق وطبع ونشر مثل هذه الدراسات التي يزخر بها التراث الإسلامي في حاجة إلى دعم المؤسسات العلمية في العالم العربي، وهذا ما يقوم به فعلاً مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية الذي رحب المشرفون عليه مشكورين بطبع هذا المخطوط ونشره ليستفيد منه المختصون وجمهور القراء استفادة عملية لترقية سلوكهم وصحتهم النفسية والجسمية لما تضمنه من طرق تشخيص وأساليب علاج سليمة للانفعالات السلبية التي قد تسيطر على الإنسان، وتتغص عليه حياته إن لم يعرف كيفية تأثيرها، وكيفية تدبيرها.
- والله ولي التوفيق.

فطن مؤلفه في

القرن الثالث

الهجري إلى أنه لم

يسبق إلى دراسة

مثل هذا الموضوع

الذي ركز أساساً

على تشابك الصحة

النفسية بالصحة

الجسمية على أساس

تشابك البدن بالنفس

مقدمة تاريخية: سيرة البلخي وعصره

ولد أبو زيد أحمد بن سهل البلخي سنة 235 هجرية، الموافقة لسنة 849 م بالقرب من مدينة بلخ.

يعتبر "معجم الأدباء" لياقوت الحموي¹ من أهم المراجع التي أفاضت في إيراد سيرة أحمد بن سهل البلخي المكنى بأبي زيد البلخي.

فقد روى ياقوت الحموي أن أحمد بن سهل ولد في بلخ¹ بقرية تدعى شامستيان الواقعة قرب نهر غربنكي، وكان أبوه معلماً للصبيان.

ولعل أحمد أخذ العلم في صباه عن أبيه ببلخ. ولكن ياقوت الحموي لم يذكر شيئاً عن طفولة البلخي ولا عن تحصيله للعلم في صباه.

وأورد ياقوت الحموي أن البلخي سافر في عنفوان شبابه إلى العراق وأقام بها ثماني سنوات لتحصيل العلوم.

ومن بين الأساتذة الكبار الذين تتلمذ عليهم أبو زيد البلخي الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي² الذي أخذ عنه الفلسفة. ويبدو أن البلخي قد

أطلع في العراق على مختلف العلوم وأخذ منها قسطاً وافراً.

من بين العلوم التي تبحر فيها البلخي إلى جانب الفلسفة كما ذكر ذلك ياقوت: علم التنجيم والهيئة (الفيزياء)، كما برز في علم الطب والطبائع، وبحث في

أصول الدين.

ويبدو أن البلخي قد تعرض في هذه الفترة لمختلف المذاهب الكلامية والنظريات الفلسفية المتناقضة. وقد أصيب جراء ذلك، كما قال ياقوت: "بالحيرة

وزل به عن النهج الأوضح؛ فتارة كان يطلب الإمام³ ومرة كان يسند الأمر إلى النجوم والأحكام".

نستشهد من مختلف

المصادر التي

وصفت البلخي أنه

وإن كان من

الغلاة وأهل الكلام

إلا أنه كان سليم

الاعتقاد؛ وإن لم يسلم

من اتهامه بالاجاد

والاعتزال والتشيع

وتغير ذلك من

الاتهامات التي

وجهت إليه من

طرفه الجاهدين عليه

ويظهر أن هذه الحيرة، التي أصابت البلخي في شبابه إلى حد اتهامه تارة بالإلحاد، ونسبه للتشيع للأمامية وللزيدية وللمعتزلة تارة أخرى لم تدم به طويلاً؛ إذ استقر على الاعتقاد الحسن كما أورد ياقوت الحموي نفسه شواهد على ذلك.

عاد أبو زيد إلى بلخ وأصبح كاتباً لأحمد بن سهل بن هاشم المروزي الذي استولى على بلخ وتخومها. وقد قربه هذا الحاكم إليه، وأجرى له راتباً شهرياً مجزياً. وتذكر بعض الروايات أن هذا الحاكم قد عرض عليه الوزارة فأبأها، وعرض عليه الكتابة فقبلها.

وكدليل على استقامة وحسن اعتقاد البلخي، أورد ياقوت بعض الأقوال في هذا المعنى. ومن ذلك ما وصفه به حيث قال: "وكان حسن الاعتقاد، ومن حسن اعتقاده أنه لا يثبت من علم النجوم الأحكام بل كان يثبت مايدل عليه الحسبان، ولقد جرى نكره في مجلس الإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن العباس البزار؛ وهو الإمام ببلخ، والمفتي فيها؛ فأتى عليه خيراً وقال إنه كان قويم المذهب حسن الاعتقاد لم يقرف بشيء في ديانته كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة. وكل من حضر من الفضلاء والأمثال اثني عليه ونسبه إلى الإستقامة والاستواء..."⁴.

ووصفه ياقوت الحموي أيضاً بأنه "كان فاضلاً قيماً بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه. وكان معلماً للصبيان ثم رفعه العلم إلى مرتبة عليّة"⁵.

وروى ياقوت أيضاً وصف أحد تلاميذ البلخي لأستاذه. وهذا التلميذ هو أبو محمد الحسن بن الوزيري الذي قال في وصف أبي زيد البلخي: "كان أبو زيد ضابطاً لنفسه ذا وقار وحسن استبصار، قويم اللسان، جميل البيان. إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنثورة. وكان قليل المناظرة، حسن العبارة. وكان ينتزه عما يقال في القرآن إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل والمشكل من الأقاويل. وحسبك ما ألفه من كتاب نظم القرآن الذي لا يفوقه في هذا الباب تأليف... وكان أيضاً يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك مفاخرة العرب والعجم"⁶.

محصره كان محصر
فلاقل، ومحصر ظهور
تيارات ومذاهب
كلامية وفكرية
كثيرة بل ومحصر
ظهور الحركات
المهدامة مثل حركة
الزنج والقرامطة،
وتحير ذلك من
الحركات الباطنية

وأضاف الوزير في وصف أستاذه ومقارنته بأقطاب أهل الكلام قائلا: "وسمعت بعض أهل الأدب يقول اتفق أهل صناعة الكلام أن منكلمي العالم ثلاثة: الجاحظ وعلي بن عبيدة الريحاني وأبو زيد البلخي؛ فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد"⁷.

ومن بين الذين أفاضوا في مدح أبي زيد البلخي الأديب المشهور أبو حيان التوحيدي في كتابه "تقريظ الجاحظ"؛ فقد روى ياقوت الحموي عنه أنه كتب بعد تقريظه للجاحظ في وصف البلخي مايلي: "...والثالث أبو زيد أحمد بن سهل البلخي فإنه لم يتقدم له شبيهه في العصر الأول، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر. ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم وفي كتاب أخلاق الأمم وفي كتاب نظم القرآن وفي كتاب اختيار السيرة وفي رسائله إلى إخوانه وجوابه عما يسأل عنه ويبدعه به، علم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء. وما رؤي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وأن القول فيه لكثير"⁸.

وكان أبو حيان التوحيدي يلقب البلخي بجاحظ خراسان. ويبدو أن هذه الصفة التي أطلقها أبو حيان التوحيدي عليه راجعة من ناحية لما يتصف به أبو زيد البلخي من صفات علمية ترفعه إلى مقام الجاحظ من الناحية الأدبية والفلسفية، وراجعة من ناحية أخرى لما يتصف البلخي به من سمات جسمية مشابهة لصفات الجاحظ كحجوز العينين ونحافة الجسم.

ومصادقا لهذا الكلام يمكننا الاستشهاد بوصف الوزير للسمات الجسمية لأستاذه البلخي حيث وصفه بأنه كان: "...ربعة⁹ نحيفا، مصفارا أسمر اللون، جاحظ العينين فيهما تأخر¹⁰، ومثل بوجهه آثار جدري صموتا سكيئا ذا وقار وهيبة..."¹¹.

ولعلنا نستشف من مختلف المصادر التي وصفت البلخي أنه وإن كان من الفلاسفة وأهل الكلام إلا أنه كان سليم الاعتقاد؛ وإن لم يسلم من اتهامه بالاحاد والاعتزال والتشيع وغير ذلك من الاتهامات التي وجهت إليه من طرف الحاقدين عليه خاصة وأن عصره كان عصر قلاقل، وعصر ظهور تيارات ومذاهب

البلخي قد تعرض لمختلفه التيارات الفلسفية والمذاهب الكلامية في بداية شبابه أثناء دراسته في بغداد، وتأثر بها تأثرا يبدو كبيرا إلى حد اتهامه بالإلحاد والحلال

كلامية وفكرية كثيرة بل وعصر ظهور الحركات الهدامة مثل حركة الزنج والقرامطة، وغير ذلك من الحركات الباطنية التي انتهزت فرصة ضعف الخلافة العباسية للظهور والتمرد والتخريب، كما سنبين ذلك أدنا.

ولذلك انبرى عدة علماء وفضلاء للدفاع عنه كما أوردنا أعلاه بالرغم من أن البلخي قد تعرض لمختلف التيارات الفلسفية والمذاهب الكلامية في بداية شبابه أثناء دراسته في بغداد، وتأثر بها تأثراً يبدو كبيراً إلى حد اتهامه بالإلحاد والضلال. ولكن هذا التأثير كما بين أعلاه ما لبث أن زال بعد التحاقه ببلخ مرة أخرى.

ويبدو أن البلخي قد تعرض أيضاً لإيذاء بعض الحكام بسبب بعض مواقفه وآرائه الكلامية والفلسفية عند عودته إلى بلخ أيضاً. ومن ذلك ما حكاه أبو زيد البلخي نفسه حول هذا الموضوع حيث قال: "كان الحسين بن علي المروزي¹² وأخوه صعوك يجري علي صلوات معلومة دائمة فلما أملت كتابي في البحث عن كيفية التأويلات قطعها عني. وكان لأبي علي الجيهاني وزير نصر بن أحمد¹³ جوارى يدرها علي فلما أملت كتابي القرايين والذبائح حرمنيها، وكان الحسين قرمطياً¹⁴، وكان الجيهاني ثويلاً¹⁵".

وإذا رجعنا إلى وصف البلخي؛ فنجد أن ابن النديم قد وصفه في "الفهرست" بقوله: "وكان فاضلاً في سائر العلوم القديمة والحديثة تلا في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليهم أقرب"¹⁶.

وذكره ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان"¹⁷، ونقل وصف ابن النديم وياقوت الحموي له، ولم يصف لذلك شيئاً جديداً.

ووصفه البيهقي¹⁸ في كتابه "تاريخ حكماء الإسلام" بقوله: "كان من حكماء الإسلام وفصحاءه وبلغائه. وله تصانيف كثيرة في كل فن، منها كتاب الأمد الأقصى، وكتاب وجوه الحكمة في الأوامر والنواهي الشرعية، وسماه كتاب الإبانة عن علل الديانة، وكتاب في الأخلاق، وكتب آخر".

وأرود البيهقي له عدة أقوال وحكم منها:

- للصدق أصل وفروع ونبات. من أكل من ثماره وجد حلاوة طعمه. والكذب عقيم لا أصل له ولا ثمرة فاحذره.

أن البلخي قد تعرض
أيضاً لإيذاء بعض
الحكام بسبب بعض
مواقفه وآرائه
الكلامية والفلسفية
عند عودته إلى بلخ
أيضاً

- إذا كثرت الخزان للأسرار زادت ضياعا.
- إذا مدحك واحد بما ليس فيك؛ فلا تأمن أن يذمك أيضا بما ليس فيك.
- وقال: الشريعة الفلسفة الكبرى، ولا يكون الرجل متفلسفا حتى يكون متعبدا مواظبا على أداء أوامر الشرع.
- وقال: من سره ما ليس فيه من الفضائل ساءه ما فيه من الرذائل.
- وقال: الدواء الأكبر هو العلم.
- ولكن البيهقي لم يذكر في أي كتاب أو كتب ذكر البلخي هذه الأقوال والحكم. ومع الأسف؛ فإن معظم كتب البلخي قد ضاع. ولعل معظمها ما يزال في شكل مخطوطات في مكتبات ما؛ مما يتطلب التتقيب عليها، وتحقيقها، وإخراجها كجزء من التراث العلمي الإسلامي خاصة وأن البلخي عبارة عن موسوعة علمية متنوعة كما يبدو ذلك من عناوين كتبه التي ذكرها مختلف المؤرخين. ويتميز كما ظهر ذلك في كتابه "مِصَالِحُ الْأَبْدَانِ وَالْأَنْفُسِ" بعمق الفكرة ودقة العبارة في أغلب الأحيان؛ ويظهر ذلك جليا عند قراءة هذا الكتاب الهام.

كتاب البلخي

تذكر مختلف المراجع والمصادر أن لأبي زيد البلخي نحو ستين كتابا ذكر معظمها ابن النديم وياقوت الحموي وغيرهما كما سنورد ذلك. ومن كتب البلخي التي ذكرها ابن النديم في "الفهرست" مايلي:

شرائع الأديان، ، أقسام العلوم، اختيارات السير، كمال الدين، كتاب السياسة الكبير، كتاب السياسة الصغير، فضل صناعة الكتابة، مِصَالِحُ الْأَبْدَانِ وَالْأَنْفُسِ، أسماء الله عز وجل وصفاته، صناعة الشعر، فضيلة علم الأخبار، الأسماء والكنى والألقاب، أسامي الأشياء، النحو والتصريف، الصورة والمصور، في حدود الفلسفة، ما يصح من أحكام النجوم، الرد على عبدة الأصنام، فضيلة علوم الرياضيات، إفساء علوم الفلسفة، القرابين والذبايح، عصم الأنبياء عليهم السلام، نظم القرآن، قوارع القرآن، الفتاك والنسك، كتاب جمع فيه ما غاب عنه من غريب القرآن، أن سورة الحمد تتوب عن جميع القرآن، أجوبة أبي القاسم الكنعي

وصفه البيهقي في كتابه "تاريخ حكماء الإسلام" بقوله: "كان من حكماء الإسلام وفصائحه وبلغائه. وله تصانيف كثيرة في كل فن، منها كتابه الأمد الأقصى، وكتابه وجوه الحكمة في الأوامر والنواهي الشرعية

الكعبي¹⁹، النوادر في فنون شتى كتاب أجوبة أهل فارس، تفسير صور كتاب السماء والعالم لأبي جعفر الخازن، فضل مكة على سائر البقاع، الشطرنج، منبه الكتاب، البحث عن التأويلات، الرسالة السالفة إلى العاتب عليه، مدح الوراق، وصية، أجوبة أبي بكر بن المظفر المعروف بابن محتاج، أجوبة أبي القاسم المؤدب، المصادر، أجوبة مسائل أبي الفضل السكري.

وبالإضافة إلى قائمة الكتب التي أوردها ابن النديم في "الفهرست"؛ فقد أضاف لذلك ياقوت الحموي أسماء كتب أخرى لم تذكر في "الفهرست" المطبوع كما ذكر ذلك مرجليوث في حاشية "معجم الأدباء"²⁰. وهذه الكتب هي:

صفات الأمم، القروذ، فضل الملك، المختصر في اللغة، صولجان الكتابة، كتاب نتارات من كلامه، أدب السلطان والرعية، فضائل بلخ، تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور، رسوم الكتب، ما قيل في حدود الفلسفة، كتاب الرد على ذم المعلمين والوراقين، أخلاق الأمم.

وقد ذكر الكتاب الأخير "أخلاق الأمم" من طرف أبو حيان التوحيدي حيث أورد عنه ما يلي: "قيل له: إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم. قال: قد رأيته وقرأته وقد أفاد، وكل من تكلم على طريقة الحكماء الذين يتوخون من الأمور لبابها، ويصرفون عنها قشورها، فله السابقة والتقدم على من يخط كفلان وفلان"²¹.

وذكر له حاجي خليفة²² كتاب صور الأقاليم؛ ولم يأت ذكر هذا الكتاب من طرف ابن النديم وياقوت الحموي.

ويبدو من تأمل عناوين كتب البلخي أنه كتب في فنون كثيرة منها: اللغة، الفلسفة، أصول الدين والتفسير، الجغرافيا، التنجيم، السياسة، الرياضيات والعلوم والطب البدني والنفسي.

ومن بين الذين ترجموا للبلخي أيضا جلال الدين السيوطي، الذي وصفه بنفس الوصف الذي وصفه به ياقوت الحموي، وذكر الكتب التي ذكرها ياقوت أيضا²³.

- مخطوط مصالح الأبدان والأنفس: يوجد من هذا المخطوط نسختان في مكتبة السلিমانيّة في استانبول؛ الأولى موضوعة تحت رقم 3741 والثانية موضوعة تحت رقم 3740.

أن البلخي عبارة عن
موسوعة علمية
متنوعة كما يبدو
ذلك من عناوين
كتبه التي ذكرها
مختلف المؤلفين.
ويتميز كما ظهر
ذلك في كتابه
"مصالح الأبدان
والأنفس" بعمق
الفكرة وحقبة العبارة
في أغلب الأحيان

وقد استنسخت المخطوطة الأولى سنة 884 هجري الموافقة لسنة 1479 ميلادية. واستنسخت المخطوطة الثانية في القرن التاسع الهجري أيضا. وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المخطوطة الأولى المشار إليها وهي نفس المخطوطة التي نشرها الأستاذ فؤاد سزكين في شكل صورة فوتوغرافية. وقد اتصلنا بمكتبة السليمانية وأكدنا من هذه المعلومات وتلقينا إنا بدراسة هذا المخطوط وطبعه ونشره، شاكرين في ذلك مسؤولي المكتبة كما اتصلنا بالأستاذ فؤاد سزكين واستشرناه في دراسة وطبع ونشر المخطوط فإن ذلك مشكورا.

وفاة البلخي

تتفق كل المراجع التاريخية أن البلخي قد توفي عن عمر يناهز 87 أو 88 سنة. فقد ذكر كحالة²⁴ مثلا أن مولده كان سنة 235 هجرية الموافقة لسنة 849 ميلادية. وأن وفاته كانت سنة 322 هجرية الموافقة لسنة 934 ميلادية.

عصر البلخي

روى ياقوت الحموي "أن صاحب خراسان²⁵ استدعى البلخي ليستعين به على سلطانه، فلما بلغ جيحون²⁶ ورأى تغطمط أمواجه وجرية²⁷ مائه وسعة قطره كتب إليه إن كنت استدعيتي لما بلغك من صائب رأيي فإنني إن عبرت هذا النهر فلست بذي رأي ورأيي يمنعني من عبوره فلما قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع إلى بلخ".

لم يعلق ياقوت الحموي على هذه الرواية بشيء؛ وإن كنا نرى أن رفض البلخي الالتحاق بصاحب خراسان لا يرجع إلى خوفه من أمواج النهر وجريانه كما ذكر ذلك في رسالته، وإنما يرجع إلى خوفه مما وراء النهر.

لقد كان عصر البلخي عصر القلاقل وعدم الاستقرار في منطقة بلخ وخراسان نفسها، وفي المناطق الأخرى التابعة للخلافة العباسية في ذلك العهد. فقد برزت الفتن، وظهرت الحركات الباطنية وغيرها كحركة القرامطة وثورة الزنج،

يبدو من تأمل
مناووين كتبه البلخي
أنه كتبه في فنون
كثيرة منها: اللغة،
الفلسفة، أصول الدين
والتفسير، الجغرافيا،
التنجيم، السياسة،
الرياضيات والعلوم
والطب البطني
والنفسية

والخوارج والإسماعلية؛ وغير ذلك من الحركات والاعتقادات الباطلة. وقد نكر البلخي، كما أوردنا أعلاه، أنه حرم الأجر الذي كان يتقاضاه من طرف أعوان بعض الحكام لكونهم إما قرامطة أو ثويين، أو لأنهم يخالفونه بعض الرأي.

وصف محمود شاکر²⁸ هذه المرحلة من تاريخ الخلافة العباسية بعصر سيطرة العسكريين الأتراك على مقاليد الحكم، وعصر ضعف الخلفاء العباسيين. وقد امتدت هذه الفترة من الخلافة العباسية من سنة 247 إلى سنة 334 هجرية. وقد عاش البلخي في هذه الفترة جزءا من حياته في بلخ وجزءا آخر في بغداد ثم في بلخ مرة أخرى إلى إن توفي فيها.

ووصف شاکر اشتداد المشكلات والثورات والفتن وانتشارها في ربوع الدولة العباسية آنذاك بقوله: "وكانت سنوات حالكات على الدولة، فالطولونيون يحاربونها من الغرب، والصفاريون يقاتلونهم من الشرق، والروم يغزون أطرافها من الشمال، والذعر ينتشر في جنوب العراق بسبب أعمال الزنج وأفعالهم الدنيئة..."²⁹. وفيما يأتي عرض مختصر لأهم الحركات والثورات التي ظهرت، وبعض الدول التي سادت في ذلك العهد إلى جانب الخلافة العباسية في عهدها الثاني:

الدولة السامانية

تنسب الأسرة السامانية إلى أحد مقربي كسرى هرمز. وكان في عهد المأمون من تلك الأسرة أولاد أسد بن سامان الذين قربهم المأمون وأولاهم بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) في مناطق مختلفة. وظهر من بينهم أحمد بن أسد، ولما توفي استخلف ابنه نصرًا على أعمال سمرقند وما رواءها. وكان أخوه إسماعيل بن أحمد واليا له على بخارى سنة 261.

ولكن العلاقة ساءت بين الأخوين، وأدى الأمر إلى نشوب حرب بينهما انتهت بانتصار إسماعيل؛ الذي وإن انتصر في الحرب فإنه أعاد أخاه نصرًا إلى حكم سمرقند، وواصل هو ولايته على بخارى كنائب لأخيه بها.

مخطوط مصالح

الأبدان والأنفس:

يوجد من هذا

المخطوط نسختان في

مكتبة السليمانية في

استانبول؛ الأولى

موضوعة تحت رقم

3741 والثانية

موضوعة تحت رقم

3740

وقد امتد حكم إسماعيل الساماني إلى خراسان، وصار له ولأولاده الحكم بعد ذلك وأنشأوا دولة عظيمة امتدت 170 سنة³⁰.

ويعتبر نصر بن أحمد الذي ذكره البلخي حفيد إسماعيل بن أحمد بن سامان. وقد حكم نصر بن أحمد منطقة خراسان بين 301 و 331 هجرية³¹. وإنما ذكرنا الدولة السامانية وحكامها لندرك الأوضاع السياسية التي عاصرها البلخي؛ خاصة وأنه عرضت عليه الوزارة فأبأها، واكتفى بمنصب الكتابة، وأنه تعرض لاضطهاد وزير نصر بن أحمد وهو أبو علي الجيهاني لاختلافه معه في الرأي. وقد وصفه البلخي بأنه كان ثنويا.

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن نصر بن أحمد قد خلف أباه وهو غلام لم يزد عمره على ثمان سنوات؛ فاستصغرت أسرته فطلب عم أبيه إسحاق بن أحمد ولاية خراسان. ولكن الخليفة العباسي أقر نصرا على تولى حكم البلاد التي كانت لأبيه رغم صغره؛ فأدار له شؤون الدولة الوزير محمد بن عبد الله الجيهاني³² المذكور أعلاه.

وأشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن نصر بن أحمد كان حليما كريما وعاقلا. وقيل إنه أخذ مبادئ الإسماعيلية، وراسل عبيد الله المهدي إلا أن قواده دبروا مؤامرة لاغتياله. وأدرك نصر الخطر؛ فتنازل عن الحكم لابنه نوح ورغم ذلك قضي عليه سنة 331³³. إلا أن ابن كثير ذكر نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، ولم يشر إلى تشييعه والقضاء عليه من طرف بعض قواده بل عزا موته لإصابته بالسل؛ فقال عنه: "وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهرا، واتخذ في داره بيتا سماه بيت العبادة، فكان يلبس ثيابا نظافا، ويمشي إليه حافيا، ويصلي فيه، ويتضرع ويكثر الصلاة، وكان يتجنب المنكرات والآثام إلى أن مات رحمه الله؛ فقام بالأمر من بعده وله نوح بن نصر الساماني، ولقب بالأمر الحميد...³⁴".

ثورة الزنج

ظهرت حركة الزنج سنة 255 على يد رجل فارسي اسمه علي بن محمد. وقد قام هذا الرجل بقيادة العبيد في ثورتهم بمنطقة تمتد بين واسط والبصرة.

ظهرت حركة الزنج
سنة 255 على يد
رجل فارسي اسمه
علي بن محمد. وقد
قام هذا الرجل
بقيادة العبيد في
ثورتهم بمنطقة تمتد
بين واسط والبصرة.
ادعى صاحب الزنج
انتماءه للإمام علي
وفاطمة رضي الله
عنهما

ادعى صاحب الزنج انتماءه للإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما، ولكنه لم يعتنق المذهب الشيعي بل جهر بمذهب الخوارج في الحكم والقائم على جعل خلافة المسلمين أمرا مشاعا بين المسلمين الأرقاء والأحرار على السواء. قدم صاحب الزنج إلى البصرة، وهناك استمال العبيد إلى صفه؛ فعظمت قوته، وانتشرت حتى هددت بغداد عاصمة الخلافة آنذاك. وعاش صاحب الزنج وأتباعه في الأرض فسادا لمدة أربع عشرة سنة. وقد قضي على ثورته سنة 270 هجرية³⁵. وما قضي على ثورة الزنج حتى ظهرت حركة القرامطة بقوة.

حركة القرامطة

بدأ القرامطة حركتهم بالدعوة للحركة الإسماعلية الشيعية الباطنية إلا أن القرامطة تخلوا فيما بعد عن الإسماعلية ثم انصرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة لم تعد لأولاد محمد بن إسماعيل وإنما لأودلا عبد الله بن ميمون القداح، وأصبحت للقرامطة توجهات خاصة بهم. وأصبح الاختلاف بين الفريقين واضحا في الوسائل التي اتخذوها. وقد اعتبر الإسماعليون القرامطة ملاحدة³⁶. قويت شوكة القرامطة سنة 289 هجرية عندما قاد أحد قوادهم المسمى "أبو الفوارس" حركتهم. وانتشر نفوذ القرامطة في عدة مناطق من العراق وفارس والبحرين، وفي السلمية وحمص بالشام وفي اليمن. ولكن حركة القرامطة ضعفت في عدة مناطق، وفشلت في مسعاها وإن استمر فسادها في بعض المناطق المتفرقة حتى منتصف القرن الخامس الهجري³⁷.

الخلافة العباسية³⁸

بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة 247 تولى الخلافة بعد ابنه المنتصر بالله محمد بن جعفر المتوكل. ولم يدم حكمه أكثر من ستة أشهر. وقد حال القادة الأتراك المنتفذين في عهده دون مبايعة ابنه بل بايعوا عمه المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم الذي دام حكمه. وقد خلع نفسه بعد خروج بعض الحكام والقادة ضده ثم قتل سنة 252 هجرية. وقد ظهرت في عهد الاضطرابات والفتن بشدة، وتمكن القادة الأتراك من السيطرة على مقاليد الحكم.

بدأ القرامطة

حركتهم بالدعوة

للحركة الإسماعلية

الشيعية الباطنية إلا

أن القرامطة تخلوا

فيما بعد عن

الإسماعلية ثم انصرفوا

لحدهم

بعد خلع المستعين بالله، بويغ المعتز بالله محمد بن جعفر المتوكل. وقد كان عهده أيضا عهد فتن واضطرابات، وقد خلع أيضا من طرف قواده وعذب حتى مات. وبويغ ابن عمه المهدي بالله محمد بن الواثق سنة 255. ولم يدم حكمه أكثر من سنة إذ قتل من طرف قادته الأتراك الذين تمردوا عليه. وفي عهده ظهر صاحب الزنج.

وتولى الحكم بعده المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل الذي دام حكمه مدة ثلاث وعشرين سنة، إلا أن الحل والعقد لم يكن بيده وإنما بيد أخيه الموفق. وفي عهد هذا الخليفة كثرت غارات الروم على بلاد المسلمين، وبرزت وقويت حركات عديدة مثل حركة الخوارج والزنج والاسماعيلية والقرامطة وغيرها، وانتشغل الموفق أخو الخليفة بمحاربة أعدائه إلى أن توفي قبل أخيه بمدة ستة أشهر.

وفي سنة 279 تولى الخلافة المعنض بالله أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل. وقد كانت أيامه كثيرة الأمن والرخاء إذ أعاد للدولة العباسية بعض هيبتها بعد أن كادت أن تندثر، وضبط الأمور، وخمدت الفتن نسبيا. وقد دام حكمه حتى سنة 289.

وبعد وفاة المعنض تولى الحكم ابنه المكتفي بالله علي بن أحمد المعنض. وقد زاد نفوذ القرامطة في عهده، وتفرغ لقتالهم وملاحقتهم. وتوفي المكتفي سنة 295 ليتولى الحكم بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعنض. وكان عمره لا يزيد عن ثلاث عشرة سنة. وقد استصغره بعض القواد وأرادوا عزله وتولييه عبد الله بن المعتز. وحدثت بسبب ذلك اضطرابات ببغداد ثم قتل المعتز. وفي عهد المقتدر توالى المعارك بين الروم والمسلمين على بعض الثغور كما اشتدت حركة القرامطة في البحرين فعاثوا في الأرض فسادا، وامتد فسادهم وإسآدهم إلى البصرة والكوفة وضواحي الموصل ومكة المكرمة.

وفي سنة 320 خرج ضده مؤنس الخادم؛ لأنه بلغه أن المقتدر يريد أن يولي إمرة الأمراء هارون بن غريب مكانه. وجرت بينهما معركة قتل فيها المقتدر.

قد تعمدنا إيراد هذه الفترة حتى نفهم العصر الذي عاش فيه البلخي؛ وهو عصر، كما أشرنا، تميز بضعف الخلافة العباسية، وظهور دول جديدة بعضها كان يعادي الخليفة ويحاربه، وبعضها كان مواليا للخليفة ويحاربه، وبرزت الحركات الهدامة

وفي عهد المقتدر، تولى نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني الحكم سنة 301 الذي ذكر البلخي وزيره (أبو علي الجيهاني) الذي حرّمه راتبه، وقد اتهمه البلخي بأنه كان ثويًا.

نقف عند هذا الحد من تاريخ الدولة العباسية التي بقيت شكل وإسما بعد مقتل الخليفة المتوكل حتى سقطت على يد التتار سنة 656 هجرية.

وقد تعمّدنا إيراد هذه الفترة حتى نفهم العصر الذي عاش فيه البلخي؛ وهو عصر، كما أشرنا، تميّز بضعف الخلافة العباسية، وظهور دول عديدة بعضها كان يعادي الخليفة ويحاربه، وبعضها كان مواليا للخليفة ويهادنه، وبرزت الحركات الهدامة، والاضطرابات الاجتماعية إلى جانب سيطرة القواد الأتراك على زمام الأمور والحكم منذ مقتل الخليفة المتوكل على أيديهم.

لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي: العدد 16



إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2016

" سلسلة " الراسوخون "

السيكولوجيا من منظور التراث النفسي العرباسلامي
إصدارات لجنة الدراسات و البحث في التراث النفسي العرباسلامي
<http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/index.TourathPsy.htm>



" لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي العرباسلامي "

شروط للعضوية

ارسال دراسة في موضوع التراث النفسي العرباسلامي مع السيرة العلمية
arabpsynet@gmail.com

